لغياب قريب أو صديق :

أُسَر يمنية تعيش أحزان الفراق في موسم الأفراح

□ أم ياسر، امرأة في العقد الخامس من العمر، خرج ابنها ياسر صادق زهير، ذو الـ (١٨) عاماً، من منزله بقرية «المصيبر»، مديرية حيس، محافظة الحديدة، قبل أكثر من ثلاثة أشهر في رحلة بحرية، لكنه فقد أثره مع زملائه الصيادين، لتصل الأنباء بعد أسابيع بأنهم محتجزون لدى جمهورية السودان، هذه الأمّ المكلومة بغياب ولدها تعيش لحظات من الحزن والأسى الذي لم يحد منه حلول عيد الأضحى المبارك، بل إن هذه المناسبة الدينية العظيمة وأجواءها الاجتماعية الخاصة زادت - كما تقول - من حزنها على فراق ولدها.

أمّ ياسر ليست سوى نموذج لعشرات ومئات الأسر اليمنية التي تعيش أجواءً عيدية مصحوبة بكثير من الآلام والمعاناة لغياب حبيب أو قريب.

«الثورة» التقت نماذج من هذه الأسر الحزينة في أيام الأفراح وليالي العيد الملاح، في محاولة لمشاركة هذه الأسر أحزانها وإيصال صوتها إلى جهات الاختصاص، علها تسهم في إعادة الغائبين إلى أهاليهم وأسرهم.

رصدتها/زهور السعيدي

أهالي الغائبين : معاناتنا تضاعفت مع حلول عيد الأضحى وأجوائه الاجتماعية المتميزة

حنين وترقب

غفران فتيني، تقول : أترقب عودة زوجي منذ سنتين تقريباً، حيث فُقد في البحر مع أصدقائه عندما غرق قارب صيد على متنه (٩) أشخاص وعثرت خفر السواحل على خمسة، والباقي مفقودون إلى الآن، ومن ضمنهم زوجي، وإلى الآن وأنا في أمل أن يعود إليّ سالماً وإلى ابنته التي اشتاقت له كثيراً، ورغم أن الجميع يؤكدون أنه ربما مات غرقاً في مياه البحر الغزيرة، إلا أنني على يقين بأنه ربما يعود يوماً، والعيد يحمل لنا معه العديد من الذكريات، حيث تعتبر أيام العيد بالنسبة لنا أياماً حزينة جداً بسبب ما نحمله من ذكريات عندما كنا سوياً تجمعنا الأسرة الواحدة.

أما أُمّ عبده محمد فتقول : ابني ذهب للعمل في البحر مع أحد القوارب، وبعد شهرين من التواصل معه علمنا أنه في أريتريا، ثم فقدنا التواصل معه ولم نعد نعلم عنه شيئاً إلى الآن، وَمَنْ يعود من البحارة نسألهم، فمنهم من يقول إنه مسجون في أريتريا، ومنهم مَنْ يخبرنا أنه في عمان، ومنهم مَنْ يقول إنه تعرض لعملية قرصنة، المهم كثرت الأقاويل ولا نعلم ما هي الحقيقة، وقد ظللت أول أيام العيد في انتظار أن يدق عليّ باب المنزل أو حتى يتصل، وإلى الآن أحس أن قلبي معلّق بين السماء والأرض بانتظار عودة ولدي، الذي ذهبت الفرحة معه عندما ذهب ولم يعد، حتى أن أطفاله في العيد لم تعد الفرحة تملأ وجوههم كما كانت عندما كان والدهم إلى جوارهم.

على الحدود

وهناك العديد من اليمنيين الذين يموتون على الحدود بين اليمن والسعودية، تاركين أسرهم في حزن وحيرة عليهم ودون علم بما حصل لهم، ويبقى مصير أسرهم أشد حزناً وإيلاماً، وبالذات عندما تفقد الأسرة أحد رجالها ولا تعلم أين هو وماذا حدث له وهل هو حي أم ميت.

وهناك الكثير من القصص الحزينة والمؤلمة لأسر فقدت أحد أفرادها، وهناك الكثير ممن فُقدوا على الحدود بين اليمن والسعودية، فمنهم مَنْ قتل، ومنهم مَنْ أصيب أو عاد فاقد العقل، ومنهم مَنْ ظل مصيره مجهولاً إلى الآن، وما زالت السلطات السعودية ترحّل الكثير من اليمنيين من على حدودها، والذين قدّرت لهم الظروف البائسة الشاقة في بلدهم أن يتجهوا إلى البلدان المجاورة بحثاً عن الرزق، وأن يذوقوا بؤساً أشد ومرارة أكثر مما خلّفتها لهم بلادهم.

الطفل أمجد عبدالرحيم، يبلغ من العمر عشر سنوات، يقول : أنا أنتظر رجوع أبي الذي ذهب إلى العمل في السعودية ولم يعد إلى الآن، ولا أشعر بطعم العيد إلا عندما يكون والدي بجواري، أذهب معه إلى الحدائق وإلى زيارة الأهل والأقارب.

وتضيف والدة الطفل أمجد أن زوجها ذهب مع مجموعة أخرى من معارفه إلى السعودية للعمل فيها، ولا تعلم إن كانوا قد دخلوا إلى السعودية أم أنهم ضاعوا بين الحدود، فلهم إلى الآن ما يقرب من سنة ونصف السنة، وهم بانتظار عودته أو حتى اتصاله بهم.

اعترافات وندم

الأب إبراهيم السامدي يقول : قسوت على ولدي وكنت أشتمه يومياً بسبب أن لديه شهادة وليس لديه عمل، ولديه أربعة أطفال، وذات يوم قرر مع أحد أصدقائه السفر بعيداً صوب الرزق والعمل عندما يئس من التوظيف في هذه البلاد، وبالذات عندما ضاقت به سبل الحياة، فقام فجراً وصلّى وقبّلني واستودع أمه وزوجته وحمّلني مسؤولية أطفاله وقال : «ما هي إلا شهور وسأعوض عليكم جميع المشاق وسأعمل، وادعوا لي»، كانت تلك آخر الكلمات التي سمعتها من ابني قبل مغادرته وما زالت كلماته إلى الآن ترنّ في أذنيّ، أصابني الإرهاق والتعب وأنا أنتظر عودته، لكن دون جدوى، انتظرته زوجته ثلاث سنوات ثم ذهبت إلى منزل والدها مع أطفالها الذين ينتظرون بلهفة شديدة عودة والدهم، والذين يحزنون كلما رأوا أقرانهم يتمازحون ويلعبون على صدور آبائهم.

ويضيف الأب السامدي : حزنت كثيراً من نفسي لأنني سبب هذه المأساة، ولأنني قسوت على ابني البكر وحمّلته فوق همومه، ويعلم اللّه ما مصيره وإلى أين ذهب وماذا تخبّئ لنا الأيام القادمة من أهوال وفجائع، وها هي تمر أيام العيد وكأنها أيام عادية وليست أيام عيد، ولم نعد نشعر بفرحة العيد كالسابق، ولم تعد تجمعنا السعادة ولم أعد أرى ابتسامة أطفال ابني في منزلي، والذين كانوا يبعثون في روحي الحياة من جديد.

أما حسن النهاري فيقول : فقدت قبل سنوات أخي عبداللّه الذي كان يصغرني بأعوام، وبحثنا عنه ولم نجده، وسبب فقدانه أنه تشاجر مع والده ثم ضربه الأب، فهمّ الآخر بالرحيل بعيداً عن عالم والديه، ولم نعد نسمع عنه، وذات مرة سألنا عنه فعلمنا أنه في عدن، وأنه استقر فيها ثم سافر إلى الخارج، ظلت والدته معلّقة به تبحث عنه دوماً، وكانت في أيام العيد تجهّز له ثياباً جديدة على أمل أن يعود في أي يوم من أيام العيد أو حتى يتذكرها باتصال، فظلت تبحث عنه إلى أن ماتت السنة الماضية وقلبها وعقلها معلّقان بعبداللّه الذي ذهب ولم يعد.

المدرهة إحدى طقوس استقبال وتوديع الحجاج وتراث صنعاني قديم

□ تحتضن مدينة صنعاء القديمة بين أسوارها عادات وتقاليد عريقة تختصر مراحل من التاريخ اليمني.. ولن يكفيها مئة عام للاحتفال بكل تلك الروعة والجمال التي تجسد روحها وريحها، إنسانها وبناءها، عاداتها وتقاليدها، وكل التفاصيل الماثلة بين أسوارها رغم صلف الزمن ومتغيراته.

□نعاء / سبا/أحمد المنصور

ومن ذلك تقليد المدرهة (المرجيحة) في صنعاء القديمة خاصة وفي بعض المدن اليمنية، حيث ارتبط هذا الطقس بأحد أركان الإسلام وهو فريضة الحج، فيما تعرف المدرهة " المرجيحة " باعتبارها إحدى التسالي والألعاب عند الأطفال من الجنسين وعند الفتيات في كثير من بلدان العالم.

ويعود تقليد المدرهة (الأرجوحة أو المرجيحة) في اليمن لفترات قديمة جداً، حيث يعد تعبيراً عن فرحة الأهالي بعودة حجاجهم عقب تعرضهم للعديد من الصعاب والمخاطر خلال سفرهم وتنقلهم بوسائل المواصلات القديمة حينذاك لأداء فريضة الحج.. كما تسمى " مدرهة العودة "، حيث يُستقبل الحاج بطقوس تبدو غريبة لكنها مُسلية وفرائحية، ومنها "المدرهة" التي تبدأ عقب عيد الأضحى بيومين أو ثلاثة أيام (خلال أيام التشريق)، والطامحة إلى تشويق الحاج للعودة إلى أهله ومحبيه، بالإضافة إلى ذكره بالخير والدعاء له بالعودة سالماً.

طقوس المدرهة في صنعاء القديمة غريبة وجميلة، حيث يقول أحد المهتمين بالتراث الثقافي الشعبي :" توضع المدرهة في فناء منزل الحاج أو في فناء منزل أحد جيرانه إذا لم يكن له فناء، ويوضع عليها شال أو عمامة يسمونها "عمامة الحاج" الذي لم يأت بعد، وتستمر بعد عودته شهرين أو ثلاثة أشهر يتجمع خلالها الجيران والأهل والأقارب والأصدقاء حول المدرهة وينشدون وقد علقوا عليها الناقوس:

"يا مدرهة يا مدرهة.. مال صوتش واهي .. قالت أنا واهية وما حد كساني .. كسوتي رطلين حديد والخشب رماني".

وأضاف :" ثم يأتي شخص يدعى "المُمَدْرِّه" وله سِمات "المُسَبِّح"، فينشد من ضمن ما ينشده" :" يا مُبشر بالحج بشارتك بشارة.. هنيت لك يا حاجنا فزت بالغفراني زرت قبر المصطفَى وتلمس الأركاني.. والصلاة والسلام على الرسول يا من سمع يصلي على النبي العدناني".

وقد سعت العديد من الفعاليات الرسمية وفعاليات المجتمع المدني إلى تحفيز الرأي العام المحلي والخارجي الاهتمام بالموروث الشعبي الغني في اليمن، والكشف عن وجه من أوجه الإبداع الإنساني الشعبي من خلال الغناء والإنشاد أثناء "التدره".. من خلال نشر موروثنا الشعبي عبر وسائل الإعلام المختلفة، باعتباره وجهاً من أوجه السياحة الثقافية في اليمن، وتوثيق تقاليد الحجيج كتابياً، صوتياً ومرئياً ليكون مرجعاً للمهتمين والدارسين، بالإضافة إلى نشرها في وسائل الإعلام المختلفة، وقد دشنت بعض المهرجانات مطلع شهر ذي الحجة من الأعوام الماضية للتعرف عن قرب على الحالة التي يعكسها ذهاب الحاج عن أفراد أسرته، فيما تم تنصيب المداره حسب طقوس صنعاء للتعرف على تراثها، مثل الأشعار التي تقال أثناء التدره.

وقد نظمت خلال ذلك معارض تضم أزياء الحاج بما يسمى (الجهاز) كتقليد متعارف بتنصيب ملابس الحجاج على المداره أو ما تسمى (كسوة المدرهة)، وكان تنصيب المداره في مسرح الهواء الطلق "صنعاء القديمة" في احتفاليات سابقة.

بيت الموروث الشعبي غني بمثل هذه الفعاليات التي توثق التراث الشعبي، وخصوصاً التراث الشفاهي، وفتح الحوار مع الآخرين لقراءة أكثر تمعناً في الثقافة الإنسانية، والاستفادة من كل التجارب الإنسانية من خلال تنظيم مراسيم الاحتفال باستقبال الحجاج، وبعودتهم من مكة، حيث يصاحب وداع الحجيج واستقبالهم الإنشاد الديني والموالد الدينية، التي تحتفل بالحاج جيئة وذهابا.

وكانت تلك الاحتفالات والمهرجانات تشمل معارض لصور الحياة التقليدية لصنعاء، ومعارض للملابس الشعبية والمطبخ الصنعاني وتوثيق تقاليد المدرهة بكل تفاصيلها، بالإضافة إلى إصدار كتيبات، وسيديهات، وكاسيتات، وغيرها عن هذه المناسبات التي تأصل قيم التراث والتقاليد اليمنية العيدية..

وقد كرمت مثل هذه الفعاليات المتدرهين الذين حافظوا على تراث المدرهة، وتقاليد توديع واستقبال الحجيج لعقود من الزمن، بالإضافة إلى إلقاء المحاضرات التي جسدت أهمية مثل هذا المهرجانات.

وكانت المهرجانات بمثابة احتفالية ثقافية متنوعة، ترمي ليس لعملية التوثيق فحسب ،بل إحياءً لذاكرة هذا التقليد الهام الذي يتزامن مع موسم الحج، كما سيمكن جهات الاختصاص من الالتفات نحو هذه الطقوس الجميلة، وضرورة المحافظة عليها.

مختصون في التراث الشعبي أعربوا عن تمنيهم بأن تتكرر مثل هذه المهرجانات التي عكست واحدة من أهم تقاليدنا العيدية خلال عيد الأضحى المبارك، وموسم الحج.. راجين الجهات المختصة أن يكون بمثابة تقليد سنوي..

بعض الأهالي في صنعاء القديمة أكدوا أنهم لا يزالون هم وبعض جيرانهم يمارسون هذه الطقوس العيدية وغيرها من الطقوس الاجتماعية التي قالوا عنها على حد وصفهم بأنها :" تعمل على تطوير العلاقات الاجتماعية بين الناس في صنعاء القديمة "..مؤكدين أنها على طريق الانقراض إذا لم يتم توثيقها وتفعيلها في المناسبات الاجتماعية والأجواء المناسباتية على اختلافها.

وأشاروا إلى أن مثل هذه الأنواع من العادات والتقاليد تعد وجهاً سياحياً لليمن باعتبارها تقليداً عريقاً يضم في جنباته حكاية الإنسان في مدننا اليمنية التي تعبق بتاريخ ذي تراث خصب إنساناً وحضارة.

الثورة
نائب رئيس مجلس الإدارة نائب رئيس التحرير : عبدالله عبدالله الصعفاني
نائب رئيس مجلس الإدارة للشئون المالية والموارد البشرية : خالد أحمد الهروجي
مدير التحرير : ابراهيم المعلمي
نائب مدير التحرير : جمال فاضل
سكرتيرا التحرير : علي الشرجي ـ سليمان عبدالجبار
www.althawra.net althawrah99@yahoo.com
يومية سياسية جامعة | تصدر عن مؤسسة الثورة للصحافة والنشر | الإدارة العامة : صنعاء ـ شارع المطار
الإدارة العامة : 321528/32/33 فاكس :332505-334914 ص.ب :1475-2195
التوزيع والاشتراكات : 274037 الإدارة التجارية : 274036 فاكس : 480680
التسويقات : 274039 فاكس :2700064 الإعلانات :274038 فاكس :274035
الفروع : عدن : 231783 فاكس :233354 تعز : 220800 فاكس : 220900
الحديدة : 245842 فاكس:211537 حضرموت : 303930 فاكس : 303931 إب / تلفاكس : 400251
الضالع / تلفاكس : 431372 أبين / تلفاكس : 602096 عمران / تلفاكس : 613388